مجلة التكامل في بحوث العلوم الاجتماعية والرياضية
ISSN 2716-9391 / EISSN 2773-3971
المجلد: (5) العدد: (2) ديسمبر 2021
ص ص : 88 -106

الظروف العامة لحملة القائد القرطاجي حنبعل على روما

General conditions of the campaign of the Carthaginian leader Hannibal on Rom

سفيان بوخاري[1] * جامعة إبن طفيل، القنيطرة ، المغرب، Soufiane.Boukhari@uit.ac.ma

تاريخ الاستلام: 15/10/ 2021؛ تاريخ القبول: 13./12/2021؛ تاريخ النشر: 31/12/2021

ملخص:

تتسم المصادر الأدبية الكلاسيكية التي تناولت تاريخ الصراع بين قرطاج وروما بالتنوع، وتغطي معظم وقائع الحروب الثلاثة التي دارت بين الجانبين لما يقارب قرناً من الزمن، والتي سميت بالحروب البونية (*Bellum Punicum*). انطلقت أطوار الحرب البونية الثانية (*Secundum Bellum Punicum*). التي تهمنا في هذا البحث من جنوب إسبانيا، سنة 218 ق.م، وانتهت بإفريقيا حوالي 202 ق.م. ويُعّد حدث عبور القائد القرطاجي حنبعل لجبال الألب إحدى أهم أحداث هذه الحرب. وهو الحدث الذي أشارت إليه العديد من المصادر الإغريقية واللاتينية، كما يتجلى في النصوص التي وردت عند المؤرخين والخطباء والشعراء. كما وفرت الأبحاث الأثرية معطيات مهمة عن هذا الحدث التاريخي الهام مثل النقوش والمسكوكات وغيرها.

كلمات مفتاحية: قرطاج، روما، حنبعل، الحرب البونية الثانية، جبال الألب، جنوب إسبانيا

Abstract:

The classical literary sources that dealt with the history of the conflict between Carthage and Rome are diverse, and cover most of the events of the three wars that took place between the two sides for nearly a century, called the Bellum Punicum. The Second Punic War (Bellum Punicum Secundum) began. The ones that interest us in this research came from southern Spain, in the year 218 BC, and ended in Africa around 202 BC. One of the most important events of this war is the crossing of the Carthaginian leader Hannibal into the Alps.This event was referred to by many Greek and Latin sources, as reflected in the texts received by historians, orators and poets. Archaeological research has also provided important data about this important historical event, such as inscriptions, coins, and others.

* المؤلف المرسل: سفيان بوخاري، Soufiane.Boukhari@uit.ac.ma

Keywords: Carthage; Rome; Hannibal; Second Punic War; Alps; Southern Spain.

1. مقدمة :

تم التطرق لقرطاج باعتبارها طرفاً عسكرياً، في شخص ممثلها القائد القرطاجي حنبعل برقا (Hannibal Barca) أثناء مواجهته لروما خلال عبوره بجيوشه وفيلته لجبال الألب خلال الحرب البونية الثانية (218-202 ق.م) من قبل العديد من الكتابات التاريخية، وبشكل غزير ولا يستهان به. وقد انصب اهتمام المؤرخين القدامى، من اللاتينيين والإغريق، كل من زاويته ومن وجهة نظره، على إبراز أسباب ووقائع الحرب البونية الثانية (218-202 ق.م)، وعلى اجتياز حنبعل برقا لجبال الألب، من خلال تدوين وكتابة ما عاينوه وما رصدوه، كما عملوا على التطرق إلى ظروفه وأسبابه وحيثياته وملابساته ونتائجه.

ومن أبرز الكتاب القدامى الذين اهتموا بأحداث الحرب البونية الثانية المؤرخ الإغريقي ديودوروس الصقلي (Diodorus Siculus)، والمؤرخ اللاتيني تيتوس ليفيوس (Titus Livius)، والمؤرخ الإغريقي أبيانوس الإسكندري (Appianus Alexandrinus)، ثم المؤرخ الإغريقي بوليبيوس (Polybius). وكل هؤلاء المؤرخين القدامى، من الإغريق واللاتينيين، قدموا لنا الأحداث والوقائع التاريخية التي شهدها الصراع العسكري بين قرطاج وروما بشكل دقيق ومفصل. إضافة إلى ما ذكروه عن المعاهدات التي أبرمت بين قرطاج وروما، وخاصة حول حدث عبور حنبعل لجبال الألب أثناء الحرب البونية الثانية (218-202 ق.م). ويعد كتاب "التواريخ" (Les Histoires) للمؤرخ الإغريقي بوليبيوس بمثابة المصدر الأساسي لوقائع عبور حنبعل لجبال الألب، ولذلك اعتمدنا عليه بشكل كبير وأساسي في بحثنا هذا، من خلال ترجمة أهم فقرات الجزء الثالث منه، والتي ستكون قاعدة لمقاربتنا للمواضيع المثارة في هذه الدراسة.

(Polybe ,p,44-60.)

سنسعى أولاً إلى أن نقتصر، على توضيح السياق التاريخي لعبور حنبعل لجبال الألب، بدءاً بذكر أسباب اندلاع الحرب البونية الثانية (218-202 ق.م) بين قرطاج وروما كنتيجة للصراع بين القوتين من أجل الهيمنة على مدينة ساغونتو (Sagonte) بإسبانيا، ومروراً بتتبع المسار الزمني والكرونولوجي للحرب البونية الثانية وعلى رصد وقائعها، ووصولاً إلى زحف حنبعل بجيوشه وعبوره جبال الألب وجبال البيريني متجهاً نحو روما.

ثم التعريف بشخصية المؤرخ الإغريقي بوليبيوس (Polybius) ومولده، ونشأته وتكوينه واهتماماته ومؤلفاته، وما هي أهم وأبرز المواضيع التي تناولها في عموم مؤلفاته، وخصوصا في كتابه "التواريخ"، و في الجزء الثالث منه على وجه التحديد، باعتباره مصدراً تاريخياً هاماً، عاصر مختلف الوقائع التاريخية لزحف وعبور حنبعل لجبال الألب، ورصد وصول جيوشه، المكونة من المحاربين المشاة، والفرسان النوميديين والفيلة، إلى سهل البو، تلك الوقائع التي تحدث عنها بوليبيوس بشكل دقيق ومفصل في الفقرات المترجمة من هذا الجزء من الكتاب.

ثم سنحاول التعريف بشخصية القائد القرطاجي حنبعل برقا، من خلال الحديث عن مولده ونشأته، وتتبع مساره وتكوينه العسكري ومعرفة مكانته العسكرية في الجيش القرطاجي، وبرصد علاقته بالبلاط القرطاجي، وبالكشف عن أسباب عدائه الشديد لروما وعن الخلفيات السياسية والتاريخية التي دفعت به إلى عبور جبال الألب، وبسرد انتصاراته على الجيوش الرومانية في المعارك التي خاضها ضد روما في جنوب إيطاليا.

وأخيراً، سنحاول التطرق إلى أهم المصادر التاريخية حول حملة حنبعل على روما وخاصة تلك التي تناولت الأحداث التاريخية المرتبطة بمجريات عبور حنبعل لجبال الألب.

إشكالية البحث:

ما الظروف العامة لحملة القائد القرطاجي حنبعل على روما ؟

وما السياق التاريخي لعبور القائد العسكري حنبعل لجبال الألب ؟

وما هي نتائج وتبعات عبور حنبعل لجبال الألب ؟

أهمية البحث :

تبرز في التعرف على الفترة التي ظهرت فيها حملة القائد القرطاجي حنبعل على روما، ثم التعريف بشخصية حنبعل من خلال التعرف على جوانب مهمة من حياته العسكرية.

أهداف البحث:

بيان أهم الظروف العامة لحملة القائد القرطاجي حنبعل على روما.

منهجية البحث:

التركيز على المنهج التاريخي لمعرفة السياق التاريخي لعبور القائد العسكري حنبعل لجبال الألب من خلال ما جاء في المصادر و المراجع التي تناولت الفترة و أشارت لموضوع حملة القائد القرطاجي حنبعل على روما من قريب أو بعيد.

حدود البحث :

يبدأ هذا البحث من تاريخ انطلاق أطوار الحرب البونية الثانية (Bellum Punicum Secundum). التي تهمنا في هذا البحث من جنوب إسبانيا، سنة 218 ق.م، وانتهت بإفريقيا حوالي 202 ق.م.

1- السياق التلريخي لعبور القائد العسكري حنبعل لجبال الألب

ترتبط أحداث عبور حنبعل لجبال الألب بمجريات الحرب البونية الثانية (218-202 ق.م). فقد عقد القائد القرطاجي حنبعل العزم على تنفيذ خطة تقضي بنقل الحرب إلى إيطاليا ومحاصرة روما. ولذلك تحرك بجيشه نحو شبه الجزيرة الإيطالية فكان عليه تجاوز الصعوبات الطبيعية للمجال الجغرافي الممتد بين جنوب إيبيريا وفرنسا وإيطاليا، ومن أهمها عبور جبال الألب واجتياز الأودية والأنهار للوصول إلى هدفه وهو مواجهة روما.

فبعد تأسيس قرطاجنة سنة 227 ق.م، عُقدت معاهدة " الإيبرو Ebro " سنة 221 ق.م، التي تعترف بموجبها روما بالسلطة القرطاجية على كل مناطق جنوب نهر الإيبرو. وبعد

مقتل صدربعل برق (Hasdrubal Barca) سنة 220 ق.م، تولى حنبعل قيادة الجيش القرطاجي في إسبانيا، وكان استيلاؤه على مدينة ساغونتو (Sagonte) سبباً في اندلاع الحرب البونية الثانية.(محمد الهادي حارش، 1992، ص. 62.)

ويرى بوليبيوس أن هناك ثلاثة أسباب رئيسية كانت الدافع وراء الحرب البونية الثانية: أولاً، حقد حميلكار برقا (Hamilcar Barca) على روما منذ أن أرغمته على تسليم صقلية فكرس بقية حياته للإنتقام من روما وأورث هذا الحق لمن أتوا من بعده، وثانياً غضب قرطاج من روما لسطوها على سردينيا وكورسيكا، وثالثاً النجاح الذي حققته قرطاج في إسبانيا. (أبو بكر سرحان2013، ص. 108.)

كان إحتلال مدينة ساغونتو (Sagonte) سنة 219 ق.م، من طرف حنبعل بعد حصار دام ثمانية أشهر، بمثابة الشرارة التي أشعلت فتيل الحرب البونية الثانية. وحقيقة أن هذا الإحتلال جاء سلسلة من معارك التي خاضها حنبعل في إسبانيا، بالإضافة إلى أن هذه الإنتصارات جعلت الإيطاليين يتضايقون من استيلاء حنبعل على مناجم الفضة. فكانوا بذلك وراء إشهار روما الحرب سنة 218 ق.م، بعد رفض الشيوخ القرطاجيين وضع حد لتصرفات حنبعل . (محمد الهادي حارش، 1992، ص. 51.)

وصلتنا قصة تجدد الحرب الثانية بين روما وقرطاج عبر ما كتبه المؤرخ الإغريقي بوليبيوس(Polybe, Histoire générale, III,33) ، ومن خلال ما جاء كذلك عند المؤرخ اللاتيني تيتوس ليفيوس(Tite-Live, Histoire romaine, XXI,18) . حيث تحدثوا عن أخر لقاء جرى بين وفد روماني والدولة القرطاجية سنة 218 ق.م، إذ كان هذا الوفد يأمل بلوغ مراده، فقد طالب هذا الوفد المؤلف من خمسة أعضاء بتسليم حنبعل ومستشاريه إلى روما. غير أن القرطاجيين ذكروهم أن معاهدة 241 ق.م، التي إرتبطت بها الدولتان لم تذكر أبداً مدينة ساغونتو. (فرانسوا ديكريه1994، ص. 181.)

ولما علمت روما بهجوم حنبعل على ساغونتو المخالف للعهود والمواثيق بين قرطاج وروما، أرسلت بعض أعضاء مجلس الشيوخ الروماني إلى حنبعل، وكان من ضمنهم فابيوس ماكسيموس (Fabius Maximus). فلم يصغ حنبعل لطلباته فقال له فابيوس: « إني أعرض السلم والحرب عليك فإختر أيهما يحلو لديك، فأجابه حنبعل: إن الإثنين عندي سواء، فاختر أنت ما تريد فقال فابيوس: الحرب الحرب، وعاد هو ومن معه وكان ذلك هو سبب الحرب البونية الثانية والتي استمرت ثمان عشرة سنة » (محمد فريد، 2014، ص. 94.)

وهكذا اندلعت الحرب بين الفريقين واتخذ كل منهما إتجاهاً مختلفاً في عملياته العسكرية، حيث أراد حنبعل أن يجعل حربه برية في أساسها، ويغزو شمال إيطاليا ثم يتوغل فيها جنوباً، بمساعدة القبائل الغالية في شمال إيطاليا. (محمد أبو المحاسن ، 1981، ص. 88)

وابتداء من سنة 218 ق.م، بدأ حنبعل في نقل الحرب إلى الأراضي الإيطالية، آخذاً بأعداد الجيوش المدربة، بالإضافة إلى جنوده الأوفياء من المشاة والفرسان الذين شاركوه معاركه في إسبانيا. وتمكن من تجنيد العديد من رجال القبائل الإسبانية عاقداً العزم على مواجهة الرومان.

وقد إستطاع حنبعل من اجتياز الموانع الطبيعية، المثمثلة في سلسلة جبال البيريني المتواجدة على الحدود الإسبانية الفرنسية، سائراً بمحاذاة نهر الرون ليجتياز جبال الألب الواقعة شمال إيطاليا. ليبدأ أعماله العسكرية نحو جبال الألب بجيشه وفيلته داخل شبه الجزيرة الإيطالية. (عبد المجيد صالح المغربي، 2014، ص. 174.)

وتمكن حنبعل من اجتياز نهر الإيبرو، على رأس قوات تضم الأفارقة والإسبان، وحسب ما جاء عند بوليبيوس، تكون جيشه من تسعين ألفاً "90.000" من المشاة، واثني عشر ألفاً "12.000" من الفرسان، وسبعة وثلاثين "37" فيلاً. (محمد هـ حارش، 1992، ص. 52.)

وفي أبريل سنة 218 ق.م، انطلق حنبعل وعبر جبال البيريني في شهر يونيو، ونهر الرون في شهر أغسطس، وجبال الألب في شهر سبتمبر. وكان حنبعل قد عبر بجيش مكون

من عشرين ألفاً "20.000" من المشاة، وسبعة آلاف "7.000" من الفرسان، وواحد وعشرين "21" فيلاً، عبروا كلهم حدود جبال الألب قبل دخول إيطاليا.

(Emmanuel davin, 1958, p. 65.)

2 - المؤرخ بوليبيوس ورواية أحداث عبور حنبعل لجبال الألب 218 - 202 ق.م

تتميز المصادر التاريخية عن الحرب البونية الثانية، وخاصة أحداث وظروف عبور حنبعل لجبال الألب، بالتنوع، ويأتي بوليبيوس (Polybius) في مقدمة الكتّاب القدامى الذين أرّخوا الحرب البونية الثانية بشكل عام، ولوقائع عبور حنبعل لجبال الألب بشكل خاص. وقد وردت الإشارة إلى هذه الوقائع في الكتاب الثالث. كما نجد بعض الفقرات عن أحداث الحرب البونية الثانية ومنها اجتياز حنبعل لجبال الألب عند ديودوروس الصقلي في الكتب 25-27، وتيتوس ليفيوس في الكتب 21-30، وأبيانوس الإسكندري في الأقسام المتعلقة منه بحملة حنبعل وأحداث إسبانيا وإفريقيا. إضافة إلى فقرات وردت عند ديون كاسيوس (Dion Cassius). (أصطيفان اكصيل، 2007، ص. 130.)

لكن ما يهمنا في هذا الصدد، هو المؤرخ الإغريقي بوليبيوس الذي اعتمدنا عليه كمصدر تاريخي تحدث عن عبور حنبعل لجبال الألب. ويعد بوليبيوس من مؤرخي الإغريق الكبار، ويعتبر مصدراً رئيسياً، وإن كان هناك من يرى أنه يأتي في المرتبة الثانية بعد توكيديدس الأثيني.(عبد اللطيف أحمد علي، 1970، ص. 55.)

شكل رقم (1): صورة للمؤرخ الإغريقي بوليبيوس (Polybius) (200 ق.م - 120 ق.م) من المتحف الوطني للحضارة الرومانية، روما، إيطاليا.

المصدر:

Dexter Hoyos, Mastering the West: Rome and Carthage at War (Ancient Warfare and Civilization), Oxford University press, Edition 1, 2015, p 92.

ولد بوليبيوس في ميجالوبوليس جنوب بلاد الإغريق وعاش في الفترة الممتدة بين (200 ق.م- 120 ق.م)، ويعتبر تاريخه أوثق مصدر كُتِبَ عن تاريخ الجمهورية الرومانية الرومانية منذ أوائل الحرب البونية الثانية حتى منتصف القرن الثاني ق.م. (أحمد السليماني، 1992، ص. 23).وانخرط بوليبيوس في السياسة مبكراً، وتمَّ نقله رهينة إلى روما مع ألف إغريقي من بني وطنه. حيث أمضى فيها عدة سنوات، درس أثناءها أخلاق الرومان ونظمهم، وتعرف على أقطابهم، وفي مقدمتهم لوسيوس أيميليوس باولوس، وسكيبيو إميليانوس، وأعضاء حلقة سكيبيو الأدبية، الذين شجعوه على كتابة التاريخ.

كتب بوليبيوس تاريخاً جامعاً في أربعين كتاباً، معالجاً فيه الفترة من 220 ق.م إلى 144 ق.م. وقد وصلتنا الكتب الخمسة الأولى كاملة، أما الكتب المتبقية من (6 إلى 40) فقد وصلت مبتورة في شكل شذرات، فضلاً عن بعض المقتطفات التي وردت في مؤلفات تيتوس ليفيوس وديودوروس الصقلي وأبيانوس الإسكندري وبلوتارخوس. (أحمد السليماني، 1992، ص. 24)

ويأتي تاريخ بوليبيوس في مقدمة المصادر الإغريقية التي تناولت جزءاً كبيراً من تاريخ الجمهورية الرومانية، كما أورد ضمن "تواريخه" أخباراً عن قرطاج والقرطاجيين خلال الحروب البونية، وعن العلاقة بين روما وقرطاج.

وعلى الرغم من الدقة التي يتميز بها بوليبيوس، إلا أنه يجب ألا يغيب عن ذهن الباحث في التاريخ تحيُّزه السياسي، كصديق لسكيبيو الإفريقي (Scipio Africanus)، عدو قرطاج (عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، 2007، ص. 11.) ففي تأريخهم للحرب حتى الفناء بين قرطاج وروما، كانت أراءُ المؤرخين الإغريق واللاتينيين تنضح حقداً، وظلّوا بعيدين عن التناول الموضوعي للوقائع، حيث كانوا مدفوعين بالحماسة السياسية والمصلحة الفردية. وبلغ بهم ذلك حد الجنون، وليس المؤرخ بوليبيوس إلّا مثالاً منهم. (شوقي خير الله، 1992، ص. 132.)

كان لعائلة بوليبيوس مهام سياسية وعسكرية مهمة عند الإغريق، فقد تولى بوليبيوس منصب قائد الخيالة، لكن هزيمة بيدنا (Pydna) سنة 168 ق.م التي تمثل نهاية ما يعرف بالحرب المقدونية الثالثة أدت إلى سقوط مقدونيا. فنقل حوالي ألف أسير إغريقي إلى روما حسب ما تذكره المصادر، وكان بوليبيوس من ضمنهم، وقد أسعفه الإرتباط بعائلة سكيبيو (Les Scipions) ذات النفوذ السياسي والعسكري المهمين، حيث تولى تكوين سكيبيو إميليان (Scipion Emilien)، الذي صار بمثابة حاميه، واتخذه مستشاراً له. فانصبّ اهتمامه على كتابة تاريخ روما واختار لذلك مرحلة ما بين 220 و168 ق.م، أي المرحلة الممتدة من الحرب الثانية بين روما وقرطاج وحرب مقدونيا الثالثة التي تمكنت فيها روما من تأكيد هيمنتها على أهم قوى البحر المتوسط. (الشاذلي بورونية، محمد طاهر، 1999، ص. 27).

أهلته خبرته السياسية والعسكرية الواسعة وسهولة رجوعه إلى السجلات الرسمية والتاريخية في بلاد الإغريق وروما ليحمل صفة المؤرخ، فضلاً عن معرفته الوثيقة بالشخصيات والأحداث الجارية، وقد استرشد بالمؤرخين اللاتينيين فابيوس بكتور وفيلينوس الصقلي، في تأريخه للحرب البونية الأولى، كما استعان بمؤرخي طبقة مجلس الشيوخ في تأريخه للحرب البونية الثانية وأحداث الحوض الغربي من البحر المتوسط خلال القرن الثاني ق.م. وأما عن شؤون بلاد الإغريق في العصر الهيلنستي، فقد اهتدى في وصفها بالروايات الآخية ومذكرات أراتوس زعيم سكيبيون. (عبد اللطيف أحمد علي، 1970، ص. 56.)

ويعد بوليبيوس مؤرخا فريداً بين المؤرخين القدامى، فقد وصفه العلامة الألماني "مومسن" بأنه الشمس الساطعة في حقل التاريخ الروماني، لأنه لم يهدف إلى إنتاج مؤلف ذي صبغة أدبية، حيث استبعد الصور البلاغية والأساليب الفنية للمسرحيات التراجيدية، ولم يدمج في تاريخه إلا عدداً قليلاً من الخطب. كما عالج مادته التاريخية بطريقة علمية لا نلتقي بمثلها في ميدان التاريخ حتى القرن التاسع عشر الميلادي. وحلّل أسباب الأحداث السياسية تحليلاً موضوعياً يدل على نظرته الواقعية وخبرته العسكرية، وإلمامه بجغرافية

الأقاليم وتخطيط البلدان واعتقاده بوحدة التاريخ المتكاملة . (عبد اللطيف أحمد علي، 1970، ص. 58.)

ويرى بوليبيوس أن لعلم التاريخ ثلاثة عناصر أساسية: أولها دراسة الوثائق التاريخية، والثاني هو معرفة الجغرافيا الطبيعية والسياسية عن طريق الملاحظة الشخصية، أي السفر والتجوال للوقوف بوجه خاص على موارد كل إقليم وإمكاناته. وثالثها الإلمام بالعلوم السياسية والعسكرية وبالتجربة العلمية. وهذه العناصر ليست إلا وسائل لتحقيق غاية واحدة، وهي إثبات الحقيقة التي هي فضيلة التاريخ الأولى وميزته الجوهرية.(عبد اللطيف أحمد علي، 1970، ص. 59.)

وتجدر الإشارة، إلى أن التاريخ عند بوليبيوس له وظيفتان اثنتان: أولهما تدريب رجال الدولة، وثانيهما تعليم القارئ العادي كيف يواجه المصائب. فقد كان هدفه الرئيسي من كتابة التاريخ تعليمياً، من خلال عرض الوقائع المعاصرة والأحداث كما وقعت، أي كتابة التاريخ الحقيقي، مع تحليل أسباب وعلة حدوثها.

على وجه العموم، يمكن القول إن المؤرخ بوليبيوس كان أحد معاصري الأحداث المصيرية التي شهدها تاريخ روما القديمة، لأنه عاش وشاهد نتائج الحرب البونية الثانية والتغيرات التي تمخضت عنها، واستطاعت أن تقف أمام توسع روما، إلا أنه مع مطلع القرن الثاني ق.م وبالتحديد سنة 202 ق.م، استطاع قائد الجيوش الرومانية سكيبيو الإفريقي (Scipio Africanus) أن يهزم حنبعل في موقعة زاما (Zama)، وتمكّن بذلك من تأكيد سيادة روما في البحر المتوسط. (محمود إبراهيم السعدني، 1997، ص. 28.)

ويعتبر بوليبيوس المصدر الأساسي لأحداث عبور حنبعل لجبال الألب، حيث خصص العديد من الفقرات والنصوص في كتابه الثالث لظروف ذلك العبور، وتطرّق لأهم الإكراهات التي واجهت حنبعل عند اجتيازه جبال الألب وللمعارك التي خاضها بالإضافة إلى الحديث عن مكونات جيشه الحربية.

3- جوانب من تاريخ حنبعل ومساره العسكري

اختلفت الدراسات التاريخية التي تحدثت عن شخصية القائد القرطاجي حنبعل برقا (Hannibal Barca) وتنوعت، فقد أشير إليها في المصادر الكلاسيكية للمؤرخين والرحالة الإغريق واللاتينيين، إضافة إلى ما جاء في الدراسات والأبحاث العربية والأجنبية الحديثة والمعاصرة.

ولا تخفى شخصية حنبعل (247 ق.م - 182 ق.م) على الذين صنفوا كتباً حوله، حيث استقوا معلوماتهم من مصادر تاريخية إغريقية ولاتينية، ومن بينهم المؤرخ الإغريقي بوليبيوس، والمؤرخ اللاتيني تيتوس ليفيوس وكورنيليوس نيبوس (Cornelius Nepos) أيضاً، الذي تحدث عن عبد ملقرط (حميلكار برقا) وابنه حنبعل في كتابه حول الشخصيات المجيدة وهذه المصادر تعتبر مصادر أدبية. (تونس أعلام ومعالم، 1997، ص. 83.)

كما أن بعض الكتاب الإغريق أمثال أماخوس (Eumachos)، وكسينفون (Xénophon)، وخيرياس (Chairéas)، وسيلنوس (Silénos)، وسوسلوس (Sosylos) قد روا تاريخ حنبعل. ولم يصلنا من ذلك سوى بعض الإشارات في المصادر الأدبية.

وكان هذان الأخيران يصاحبان القائد القرطاجي حنبعل، ولم يكتبا عن أعماله الباهرة فحسب، بل رويا بعض الوقائع التي لم يحضرا فيها، أما خيرياس، فيبدو أنه كان معاصراً لحنبعل. (أصطيفان اكصيل، 2007، ص. 131.)

ولد حنبعل عام 247 ق.م، أي قبل ست سنوات من انتهاء الحرب البونية الأولى. وكان الابن البكر لحميلكار برقا (Hamilcar Barca)، وبرقا تدل على اسم لعائلة بارزة من عائلات قرطاج. وتعني الصاعقة بالفينيقية وتعود بنسبها إلى الملكة إليسا ديدو (Dido) المؤسسة الأسطورية لمدينة قرطاج. (العقيد محمد أسد الله صفا، 1987، ص. 85.)

شكل رقم (2): تمثال نصفي لحنبعل برقا (Hannibal Barca) من متحف نابولي الوطني للآثار بإيطاليا.

المصدر:

Dexter Hoyos, Mastering the West: Rome and Carthage at War (Ancient Warfare and Civilization), Oxford University press, Edition 1, 2015, p 98.

أخذ حنبعل صفات وأخلاق والده حميلكار برقا، وهو لا زال صبياً، فكانت نفسه لا تصبو إلا إلى الحروب والكفاح. ولطالما ألح حنبعل على أبيه أن يأخذه معه إلى ساحة النزال، وأبى والده الانصياع لرغبته نظراً لصغر سنه، مشترطاً عليه أن يقسم له في الهيكل يميناً على معاداة روما. والسعي للإيقاع بها والقضاء عليها إلى الأبد، فأقسم حنبعل تلك اليمين التاريخية بحماس عظيم وكان سنه لا يتجاوز التسعة سنوات. (أحمد توفيق مدني، 1986، ص. 49.)

كما تحدث عنه بوليبيوس في الكتاب الثالث بعدة أوصاف وإشارات منها "الجنرال القرطاجي" و"سيد النصر".(Polybe, III,44.) أما بالنسبة لحياته الزوجية، فقد كان حنبعل متزوجاً من الأميرة إميلكا (Himilce)، وكانت ابنة لأحد شيوخ القبائل الإسبانية. وربما كان ذلك الزواج بين حنبعل وإميلكا زواج حب أو زواجاً بدافع سياسي، أو كان الاثنين معاً. (العقيد محمد أسد الله صفا، 1987، ص. 86.)

أشار المؤرخ اللاتيني تيتوس ليفيوس إلى أن حنبعل برقا كان شديد الشبه بوالده حميلكار برقا، لا سيما في صفات وجهه وعيناه، ثم شجاعته في مواجهة روما. حيث لا يمكن للتعب أن يؤثر على جسده ونفسه، وكان مقاوماً للبرودة والحرارة، كما أن اللباس الذي كان يرتديه حنبعل كان يشبه لباس جنوده.

(Tite-Live, XXI,4,5).

ويتفق معظم المؤرخين على أن حنبعل برقا كان إنساناً قوياً شديد المقاومة، لديه نظر حاد، إلا أنه لم يوصف وصفاً دقيقاً إلا بعد اكتشاف النقود الخاصة به، والتي حملت صورته الخاصة وضربت بإسبانيا ما بين 221-219 ق.م. (سايح مرزوق أحمد، " 2017، ص. 86.)

تميز حنبعل بكونه قائداً يتوالف مع جميع الظروف القتالية والحربية، إلا مع أمر واحد، وهو الحصار، حيث كان ينتقل من الهجومية الاقتحامية خلال سنواته الثلاث الأولى في إيطاليا، إلى الوضع الدفاعي العنيد خلال الثلاث عشرة سنة التي أمضاها في إيطاليا. وكان محنكاً حتى أنه كان يغير موقفه كما يشاء، بحسب تبدل ظروف الحرب والسياسة والتموين

والمعنويات والطقس والقوة البحرية والتّحالفات السياسية في إيطاليا وقرطاج معاً. (شوقي خير الله1992 ، ص. 189.)

قدم المؤرخون القدامى حنبعل كشخص مستعد لتدمير روما، ويعزى إليه وحده سبب الحرب البونية الثانية. وما ترتب عليها من نتائج، وهنا تدخل مسؤولية الحرب التي تعوَّد الرومان على تقديمها بهدف تبرير دور روما. (كريمة نور الدين2012، ص. 319.)

ولا شك أن الحدث الأكثر أهمية في حياة حنبعل، هو القسم الذي أداه لوالده حميلكار برقا، من أجل تكريس حياته لمواجهة ومحاربة روما، حيث ساهم هذا الحدث في تكوين شخصية حنبعل القوية. (عديل ناجم، 2018، ص. 492.)

أما من حيث دلالة اسم "حنبعل"، فهو اسم فينيقي، وقد جرى تحريفه، فصار يعرف عالمياً بلفظة "هانيبال". وتعني لفظة "حنبعل" في اللغة الفينيقية شيئاً شبيهاً بمعنى "مختار الله" أو "عبد الله".(العقيد محمد أسد الله صفا، 1987، ص. 20.)

أما عن مساره وتكوينه العسكري، فقد عُين حنبعل قائداً للجيش القرطاجي بإسبانيا خلفاً لصهره صدربعل برقا (Hasdrubal Barca) الذي توفي بجنوب إسبانيا سنة 220 ق.م. وواصل حنبعل طريقه في توسيع رقعة النفوذ القرطاجي في إسبانيا. ولإخماد ثورة من لم يعترف بقرطاج، أو يرفض حضورها، وهذا ما زاد من خوف الرومان من تلك السياسة التوسعية التي نهجها حنبعل، ودفعها إلى العمل على إيجاد وسيلة للتصدي لها، وجعل نهر الإيبرو حداً للنفوذ القرطاجي في إسبانيا. وقد وجد مجلس الشيوخ في روما ذريعة للتدخل في الشؤون البونية بإيبيريا لما استولى حنبعل على مدينة ساغونتو (Sagonte). (تونس أعلام ومعالم، ، ص. 84.)

فتولي حنبعل للقيادة العسكرية تم بعد اغتيال صدربعل مباشرة عام 220 ق.م، من قبل أتباع أحد زعماء القبائل، وعلى الفور تم إجتماع بين الضباط القرطاجيين في مجلس عام وأنتخب حنبعل بن حميلكار برقا قائداً عاماً للجيش خلفا لزوج أخته. (العقيد محمد أسد الله صفا، 1987، ص. 84.)

كان حنبعل يلقى ترحيبا وولاء من طرف جيشه، فقد كانت إسبانيا بالنسبة لقرطاج بمثابة أرض خصبة للتجنيد، ولم تقدم دلائل على وقوع حوادث تدل على نقص في الولاء والإخلاص لحنبعل من قبل جنوده الإسبان في إيطاليا(العقيد محمد أسد الله صفا، 1987، ص. 40).

وفيما يخص إبداعاته في المجال العسكري، يفيدنا تيودور مومسن عالم الآثار الألماني: بأن حنبعل تمتع بميزات خاصة به، حيث كان يحاول أن يدرس عادات عدوه قبل المعركة، وله جواسيس يرسلهم إلى روما ليزودوه بمعلومات ومشاريع الرومان، كما يتميز بصفات رجل دولة، ويظهر ذلك في تأثيره على مجلس الشيوخ في قرطاج. (بلعيد حسن، 2013، ص. 32.)

فلما أنتخب حنبعل كثالث قائد للجيوش القرطاجية في إسبانيا بالإجماع، والذي أبان على قدرات وخبرة عسكرية كبيرتين. بالإضافة إلى مؤهلاته الحربية، فهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره، لم ينتظر قرار الدولة القرطاجية ورفض حزب " ال حنون " قرار الجنود بشدة، مبررين ذلك في أنه: " لا يمكن تسليم الشؤون الحربية القرطاجية في إسبانيا لشاب صغير، فقرطاج بحاجة إلى شخص يطيع القوانين ويحترم القضاء، فنحن نخشى من شرارة وشجاعة حنبعل". ورغم أن هذا الطرح منطقي، ولكن الغلبة كانت للحزب الأكثر عدداً، لذلك وافق مجلس الشيوخ القرطاجي على قرار الجنود في تعيين حنبعل قائداً أعلى للقوات القرطاجية في إسبانيا. (محمد الهادي حارش، نور الهدى ورنوغي ، 2018، ص. 597.)

خلاصة واستنتاج:

لقد شكلت الظروف العامة لحملة القائد القرطاجي حنبعل على روما حدثا تايخيا هاما بالنسبة لكل مهتم بالتاريخ القديم وخاصة تاريخ الحروب البونية بصفة عامة والحرب البونية الثانية بصفة خاصة ونستنتج مما سبق أن روما لم تأخد بعين الاعتبار عبقرية حنبعل العسكرية خلال بدايته في خطة الهجوم على روما، حيث اجتاز نهر الإيبرو ثم البيريني على رأس خمسين ألف "50.000" من المشاة، وتسعين ألف "90.000" من الفرسان، وسبعة وثلاثين "37" فيلاً في يونيو 218 ق.م. وتمكن بعدها من عبور نهر الرون في حوالي منتصف شهر غشت، وحاول أن يختار الطريق التي لم يشدد الرومان حراستهم عليها لاجتياز جبال الألب. مما يدل على حنكة وعبقرية حنبعل العسكرية في التخطيط والتكتيك الحربي.

قائمة المصادر والمراجع (البيبليوغرافيا):

أولا: المصادر:

أ - المصادر باللغات الأجنبية:

Polybe, Histoire générale, Livre III, par félix bouchot, Tome premier, paris, Charpentier libraire-éditeur, 1847.

Tite-Live, Histoire romaine, Livre XXI, avec la traduction en francais publieé sous la direction de M.Nisard, Tome I et II, paris, Firmin Didot, 1864.

ثانيا: المراجع:

أ - باللغة العربية:

أبو بكر سرحان، " الحروب البونية بين روما وقرطاجة (264-146 ق.م) أسبابها-أحداثها-نتائجها وموقف الممالك الأهلية المغربية منها "، مجلة الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، العدد 35، 2013، ص ص. 101-120.

أحمد السليماني، "دراسة نقدية للمصادر والآثار والأصول "، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 6، الجزائر، 1992، ص ص. 15-43.

أحمد توفيق مدني، قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، طبعة، 1986.

أصطيفان اكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، الجزء الثالث، التاريخ العسكري لقرطاجة، ترجمة: محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 2007.

تونس أعلام ومعالم، مؤلف جماعي، إشراف: عبد العزيز الدولايلي، الوكالة القومية للتراث والمعهد الوطني للتراث، طبعة مارس، 1997.

سايح مرزوق أحمد، "حنبعل وإنتصاراته الأربعة في إيطاليا (218-216 ق.م) خلال الحرب البونية الثانية"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 5، العدد 12، ديسمبر2017، ص ص. 84-99.

الشاذلي بورونية، محمد طاهر، قرطاج البونية: تاريخ حضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999.

شوقي خير الله، قرطاجة العروبة الأولى في المغرب، مركز الدراسات العلمية والمركز العلمي، الطبعة الأولى، 1992.

عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، روما وأفريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية إلى عصر الإمبراطور أغسطس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، 2007.

عبد اللطيف أحمد علي، مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1970.

عبد المجيد صالح المغربي، " إنحسار نفوذ قرطاجة في غرب البحر الأبيض المتوسط منذ أواخر القرن السادس قبل الميلاد "، مجلة الأكاديمية للعلوم الانسانية والإجتماعية، العدد 6، يوليوز 2014، ص ص 164-178.

العقيد محمد أسد الله صفا، هانيبال، دار النفائس، الطبعة الأولى، 1987.
فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ترجمة: عز الدين أحمد عزو، الطبعة الأولى، دمشق، 1994.
كريمة نور الدين، " عائلة آل برقة في قرطاجة بين مساعي الحرب ودعاة السلم "، مجلة الباحث، العدد 6، الجزائر، جوان، 2012، ص ص. 309-321.
محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية بيروت، 1981.
محمد الهادي حارش، " حملة حنبعل على إيطاليا "، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 6، الجزائر، 1992، ص ص. 51-59.
محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992.
محمد الهادي حارش، نور الهدى ورنوغي، " سياسة " آل برقة " ما بين الحرب البونيقية الأولى والثانية "، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد 8، الجزائر، 2018، ص ص. 603-585.
محمد فريد، تاريخ الرومانيين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الأولى، 2014.
محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن الأول ميلادي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998.
محمود إبراهيم السعدني، معالم تاريخ روما القديم منذ نشأتها وحتى نهاية القرن الأول ميلادي، دار نهضة الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997.

ب- باللغات الأجنبية:

مجلة تنوير للعلوم الانسانية والاجتماعية، Adil Njim، " Hannibal l'ombre de son pére"، العدد 07، سبتمبر، 2018، ص ص. 488-496.

Emmanuel davin," le passage du Rhône et des alpes par hannibal ",Bulletin de l'Association Guillaume Budé, n°3, octobre 1958, pp. 65-80.

Dexter Hoyos, Mastering the West: Rome and Carthage at War (Ancient Warfare and Civilization), Oxford University press, Edition 1, 2015.

ج- الرسائل والأطاريح الجامعية:

بلعيد حسن، حنبعل والحرب البونية الثانية (218-202 ق.م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، 2013.